

الأمثل في تفسير كتاب الإن المنزل

[33] كما في هذه السّورة. وفي رواية عن الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام)

قَالَ: "وَإِنَّ إِلَهَ كُلِّ شَيْءٍ الرَّحْمَنُ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ، الرَّحِيمُ بِالْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً" (1). من جهة أخرى، كلمة (الرحمن) اعتبروها صيغة مبالغة، ولذلك كانت دليلاً آخر على عمومية رحمته. واعتبروا (الرحيم) صفة مشبّهة تدلّ على الدوام والثبات، وهي خاصة بالمؤمنين، وثمة دليل آخر، هو إنَّ (الرحمن) من الأسماء الخاصة بالإنّ، ولا تستعمل لغيره، بينما (الرحيم) صفة تنسب إلى لعباده. فالقرآن وصف بها الرسول الكريم، حيث قال: (عَزَّيْزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) (2). وإلى هذا المعنى أشار الإمام الصادق(عليه السلام)، فيما روي عنه: (الرَّحْمَنُ إِسْمٌ خَاصٌّ بِصِفَةِ عَامَّةٍ، وَالرَّحِيمُ عَامٌّ بِصِفَةِ خَاصَّةٍ) (3). ومع كل هذا، نجد كلمة (الرحيم) تستعمل أحياناً كوصف عام. وهذا يعني أن التمييز المذكور بين الكلمتين إنما هو في جذور كل منهما، ولا يخلو من استثناء. في دعاء عرفة - المنقول عن الحسين بن علي(عليه السلام) - وردت عبارة: "يَا رَحْمَنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَحِيمَهُمَا". نختتم هذا الموضوع بحديث عميق المعنى، عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قَالَ: "إِنَّ عَزَّ وَجَلَّ مَائَةَ رَحْمَةٍ، وَإِنَّ نَزَّهُ أُنْزِلَ مِنْهَا وَاحِدَةً إِلَى الْأَرْضِ، فَكَسَمَهَا بِئِنَّ خَلْقِهِ، بِهَا يَتَعَاطَفُونَ وَيَتَرَاحَمُونَ، وَأَخَّرَ تِسْعاً وَتِسْعِينَ لِنَفْسِهِ يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (4). *

* 1 - الكافي، وتوحيد الصدوق، ومعاني الأخبار (نقلاً عن الميزان). 2 - التوبة، 128. 3 - مجمع البيان، ج 1، ص 21. 4 - نفس المصدر.